7 ـ القصة الدامية لصراع مراكز القوى

*****

عامر حاول الانتحار أمام السادات فى منزل عبد الناصر !

تم إسعافه من الثانية بعد منتصف الليل حتى السادسة والنصف صباحا .. ثم أعيد لمنزله

محاكمة عبد الحكيم عامر فى منزل عبد الناصر يوم 25 أغسطس 1967 استمرت المحاكمة 5 ساعات

كان القضاة : عبد الناصر ــ السادات ــ الشافعى ــ زكريا الشافعى وزكريا محى الدين أوصلا عبد الحكيم عامر إلى منزله عند الفجر بعد أن تحول المنزل إلى تحديد إقامة تحت الحراسة المسلحة

فى 13 أغسطس عام 1967 كان جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محى الدين يقيمون فى قصر رأس التين بالإسكندرية ، بمناسبة إجراء مباحثات مع الرئيس اليوغسلافى تيتو الذى حضر إلى الإسكندرية على يخت خاص . كانت زيارة الرئيس تيتو إلى مصر بعد الهزيمة ، كالبلسم الشافى وجاء إلينا صديقا عزيزا وفيا كريما ، يبحث معنا بكل الإخلاص المخرج من الأيام السوداء . ولا ينسى له أنور السادات هذا الموقف أبدا . بل أن السادات كلما لقى تيتو وأحتضنه ، فأن مشاعره بكل العرفان لتيتو يعبر عنها صادقا ممتنا ، وهو يضمه إلى صدره . أن الأيام الثلاثة ــ من 10 أغسطس إلى 12 أغسطس ــ التى أمضاها تيتو معنا فى زيارة بعد الهزيمة ، ساكنة بكل ذكرياتها فى قلب أنور السادات .. مهما ثقلت الأعباء على هذا القلب الذى تحمل فوق طاقة البشر . كنا فى قمة آلام النكبة .. وجاء صديق يخفف عنا الآلام .. " هكذا يعبر السادات عن هذه

الزيارة " . وعندما كان اليخت غالب ، يبتعد بالرئيس تيتو إلى جوف البحر ، عائدا إلى بلاده .. كان أنور السادات يقف مودعا ، وكان قلبه ينخلع من صدره .. كلما شعر أن اليخت سيختفى بعيدا بعيدا بالصديق . بل كانت تراود مشاعر السادات .. هل يستطيع أن يتشبث به ليبقى .. ولو يوما آخر أو بعض يوم . كانت قيادات مصر تعايش الصقيع .. وكان تيتو هو لمسة الدفء وكلنا يذكر أن الرئيس السادات أذاع فى خطابه يوم العاشر من رمضان .. أن عبد الناصر طلب من تيتو فى تلك المباحثات ، أن يبلغ الزعماء السوفييت ، أنه لن يقبل منهم هذه المعاملة . وقال عبد الناصر وهو فى قمة المرارة : أى إنسان له كرامة يستحيل أن يقبل من السوفيت هذا الأسلوب من التعامل . القصة المعتادة من السوفييت تكررت حينذاك . بعد أن اتفقوا على إعادة بناء القوات المسلحة .. وبعد أن تدفق جسر جوى فى الأيام الأولى بعد الهزيمة .. توقف كل شىء فجأة . وأصبحنا كأننا نتسول ولا مجيب ..

برقية من السوفييت أثناء بيان التنحى !

بل أكثر من ذلك لقد تدخل السوفييت لكى يعدل جمال عبد الناصر عن إعلان تنحيه يوم 9 يونيو 1967 ، أثناء إلقائه لبيان التنحى الذى كان يذاع حينئذ على الهواء ، فى الإذاعة ، وعلى شاشة التلفزيون . فقد حدث خلال القاء عبد الناصر لبيان التنحى ، أن وصلت برقية عاجلة جدا ، من زعماء الاتحاد السوفيتى موجهة إلى عبد الناصر ، بوعد قاطع منهم ، أن يعيدوا بناء قواتنا المسلحة . وقد ادخلت هذه البرقية إلى جمال عبد الناصر ، وهو يقرأ بيانه .. ولكنه لم يشأ أن يقطع خطابه ، وأستمر وكان قد توقف لحظات .. ولعل مشاهدى التلفزيون قد لاحظوا أنه اتجه ببصره إلى اليسار .. وكان ذلك عندما أدخلت إليه برقية الزعماء السوفييت .. ولمح عبد الناصر سطورها فى لحظات . ومع الأزمة مع السوفيت .. كانت الأزمة مع المشير عبد الحكيم عامر . كان لا يزال محصنا فى قصره بالجيزة . وكل وقائع التآمر ، لقلب النظام ، أمام عبد الناصر ساعة بساعة .. بل دقيقة بدقيقة . ومع ذلك لا يزال مترددا فى اتخاذ أى إجراء . وكانت البلاد على شفى الهاوية .. وكان أنور السادات يردد لأعبد الناصر : يا جمال .. أرجوك .. أحسم . من يوم 10 وأنا بقولك .

طلعنا كلنا . غير . الشعب الآن مستعد أن يعمل معك . الخمسة وثلاثين مليون مستعدين يشتغلوا معك بعد الآن الموقف سيتغير . لن يتحمل الشعب . الصبر الطويل وصل إلى آخر مداه . ولكن عبد الناصر استمر فى تردده .. وكان قد رفض الاستقالات الجماعية التى طلبها أنور السادات من كل القيادات . وكان عبد الناصر يتصور أن هذه الاستقالات ستعطى صورة انهيار . ورغم تفاقم الوضع الداخلى .. مع وجود قلعة الجيزة المحصنة .. كان أيضا لا يزال مترددا .

السر الذى لا يذيعه السادات

وعند الظهر . يوم 12 أغسطس 1967 ، وفى حجرة نوم جمال عبد الناصر بقصر رأس التين ، كان الرجلان وحدهما . عبد الناصر وأنور السادات . وقال عبد الناصر : لقد قررت أن أتخذ إجراء مع عبد الحكيم . وأوضح عبد الناصر السبب الذى دفعه إلى اتخاذ قراره . ولكنه ائتمن أنور السادات على هذا السبب ، وطلب إليه أن يبقى سرا دائما . وحتى الآن لا يزال هذا السر ، حبيسا فى صدر أنور السادات . ولم يبح به لأحد . ولعله يشكل جزءا من مذكرات أنور السادات التى سجلها ، ولن يسمح بنشره . وعادوا إلى القاهرة . وفى اليوم الثالث والعشرين من أغسطس ، تلقى عبد الحكيم عامر ، دعوة من جمال عبد الناصر أن يتناول معه العشاء ، فى الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الجمعه 25 أغسطس وكان مقررا أن يسافر جمال عبد الناصر إلى السودان ، فى صباح يوم الأحد . وسعد عبد الحكيم عامر بهذه الدعوة . وفهم أن عبد الناصر تراجع . بل فهم أنه سيسافر مع عبد الناصر إلى السودان دخل عبد الحكيم عارم إلى حجرة صالون جمال عبد الناصر فى الساعة التاسعة إلا الثلث تماما من المساء .

المحاكمة !

ولكنه فوجىء بأن عبد الناصر لم يكن وحده . كان معه أنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين . والذى لم يعرفه عبد الحكيم عامر أيضا ، أن جمال عبد الناصر كان قد اصدر قرارا ، بتطهير منزل عبد الحكيم عامر فى الجيزة تماما من الأسلحة والمدافع

،ومن كل من كانوا يعسكرون فيه . كما كان عبد الناصر قد قرر تحديد إقامة عبد الحكيم عامر فى منزله ، تحت حراسة الدولة المسلحة . وعندما وصلت سيارة عبد الحكيم عامر إلى منزل الرئيس عبد الناصر ، وبعد أن دخل هو إلى قاعة المكتب .. كانت السيارة قد جردت من السلاح الذى كان بها ، وكان قد تم القبض على الحرس المسلح . وأبعدت السيارة وحلت محلها سيارة أخرى ، كانت معدة من قبل بقيت فى الانتظار لنقله بعد الاجتماع إلى منزله الذى تحول إلى تحديد إقامة . كم تم فى تلك الليلة .. وبعد وصول عبد الحكيم عامر إلقاء القبض على كل المتصلين بالمؤامرة ، أو من أشتبه فى اتصالهم بها .. وكان بعضهم فى الإسكندرية . وكان عبدالحكيم عامر يتصور أنه ذاهب للعشاء .. والصفاء . ثم للسفر مع عبد الناصر فى الصباح التالى إلى السودان . .. كانت المفاجأة الأولى أن عبد الناصر لم يكن وحده ! كان معه كما قلت .. السادات والشافعى وزكريا . وصارحه عبد الناصر بكل شىء . وقال له لقد جئت بزملائك ، لكى يجرى كل شىء أمامهم . وكانت جلسة محاكمة . واجهه عبد الناصر بكل ما فعله منذ يوم الهزيمة حتى تلك اللحظات ، وبكل وقائع المؤامرة كاملة .. ثم بالقرار .

حتى الثانية صباحا

ودار حوار طويل وجدل طويل . واستخدم عبد الحكيم عامر كل الأساليب التى أجاد مرانها مع عبد الناصر ، فى مختلف الأزمات السابقة .. والتى أفلحت من قبل فى زعزعة قرار عبد الناصر وعدوله ، والتى كانت توجد فى النهاية علامة الاستفهام الحائرة . أشتد حيانا .. ولان أحيانا أكد ولائه . ذكر عبد الناصر أنه لم يخل بالأمانة يوما ، عندما كان يسافر عبد الناصر ويترك له البلد . وباختصار .. بذل المستحيل لمحاولة الخروج من المأزق . .. حتى كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . أى أكثر من 5 ساعات . وهنا شعر جمال بالأرهاق الجسدى والنفسى الشديد .. بل أوشكت علامة الاستفهام أن تبرز من جديد . فترك عبد الناصر الصالون وصعد إلى غرفة نومه فى الدور الثانى وبقى الأربعة .. ثم

ترك زكريا محى الدين المكتب .. ولحق بعبد الناصر فى الدور الثانى .. ثم تبعه حسين الشافعى .. وبقى السادات وعبد الحكيم عامر وحدهما .. والصمت الرهيب ثالثهما !

أنا انتحرت

وخرج عبد الحكيم من المكتب بحجة الذهاب إلى دورة المياه . ولكنه كان يريد أن يغادر بيت عبد الناصر . كان يريد العودة بأى ثمن إلى منزله ، قبل أن يطهر من شركاء المؤامرة . ولكن ضباط الحراسة تعرضوا له .. ومنعوه . وفقد أعصابه . وغضب . وصرخ . وفتح صدره وهو يصيح أضربونى بالرصاص . وقال ضابط الحراسة فى أدب جم وكلمات حاسمة : ــ لا تحرجنا يا سيادة المشير وعاد إلى غرفة المكتب وبقى السادات وعبد الحكيم عامر وحدهما .. والصمت الرهيب ثالثهما ! ثم فجأة .. تفجر الصمت بدوى مثير ! غادر عبد الحكيم عامر غرفة المكتب للمرة الثانية . ودخل دورة المياه ثم عاد .. وكان السادات يجلس مستندا رأسه على يمينه .. وقال عبد الحكيم عامر : ــ أنا أخذت سم سيانيد .. وحأموت بعد خمس دقائق ! ثم أرتمى على أريكة فى المكتب وتحول الصمت إلى أصوات وهرج .. ــ هاتوا الدكاترة .. وجاء الأطباء على الفور . وأتت كل الأجهزة الطبية للانقاذ . وأجرى الأطباء عملهم .. التنفس الصناعى .. وكل الاسعافات الواجبة . ونزل زكريا محيى الدين . ونزل حسين الشافعى . وصعدا ثانية . وأبلغا عبد الناصر . ولكن جمال عبد الناصر بقى فى غرفته ولم ينزل .

أى سم ؟

وليس من شك أن عبد الحكيم عامر لم يتناول سم السيانيد ، لسبب واحد ، وهو أن هذا السم ، لو لمس داخل الفم .. فأن أثره بالموت لن يتجاوز اللحظات . أقل من ثوان .. ولا إسعاف له ، ولا إنقاذ منه على الإطلاق .. وهناك احتمالان لا ثالث لهما أما أنه تناول نوعا آخر من السم ، الذى يعطى مفعولا بطيئا ، مثل مادة الاكونتين .. التى أعلن بعد ذلك أنه تناولها فى الاستراحة التى حددت بها أقامته ، ونقل إليها من منزله بالجيزة .. واما أنه لم يتناول شيء ساما .. وأراد أن يقوم بمسرحية مثيرة ، تعيده إلى عبد الناصر أو تعيد عبد

الناصر إليه .. واستمرت إجراءات اسعافه وقتا طويلا .. وما أن أعتدل فى جلسته وهو يتمالك نفسه حتى قال : ــ طيب .. المرة دى فاتت .. المرة الجاية مش هتفوت .

وعاد فى السادسة من الصباح

واستمر الموقف الرهيب حتى الساعة السادسة والنصف من الصباح . قال عبد الحكيم عامر . ــ أنا عاوز أروح البيت .. وكانت السيارة جاهزة وصحبه حسين الشافعى وزكريا محى الدين حتى أوصلاه إلى منزله فى الجيزة ، ولم يعد بعد ، قلعة عسكرية يتحصن فيها قائد الجيش السابق .. بل مقرا لتحديد اقامته تحت الحراسة المسلحة .

والسؤال : ــ لماذا كان عبد الحكيم عامر يريد أن يفلت من منزل عبد الناصر عائدا إلى بيته ؟ .. وأجبت فى هذا التحقيق ، أنه لم يكن يعرف أن البيت قد طهر تماما من الأسلحة ومن المحاربين المتآمرين . وكان عبد الحكيم عامر مقتنعا ــ وهذا صحيح ــ بأن أخراجه من قلعته ، كان مستحيلا من غير معركة عسكرية فعلا .. كانت ستصيب بقذائفها العمارات المجاورة ، وكانت ستسيل فيها الدماء .. مما يضع عبد الناصر والنظام كله ، أمام فضيحة تدوى فى العالم كله .. وعاد هذه المرة فى السادسة والنصف من الصباح .. وليس يحيط به إلا اليأس الكامل . وتتابعت الأحداث .. تقرر نقله إلى استراحة صغيرة تحددت بها إقامته . قاوم . أخرج للمرة الثانية شيئا كان معه ، وأبتلعه . لاحظ ذلك قائد القوة التى كانت مكلفة بنقله . وصاح : بلع حاجه .. بلع حاجة . فنقل على الفور إلى مستشفى المعادى حيث أجرى له غسيل معدة . ثم نقل إلى الاستراحة التى أعدت لأقامته .. وكان ذلك يوم الاثنين . وتوفى مساء الخميس ، وأذيع رسميا أنه مات منتحرا صباح الجمعة . وطويت صفحة صراع القوى بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. وكانت محاكمات المؤامرة ، التى قذفت بعباس رضوان إلى السجن وقد كان مجرد واسطة خير بين الاثنين ، بل أن دوره كان أساسيا فى إخراج الأسلحة والضباط المعتصمين فى بيت عبد الحكيم عامر . وأريد تشويهه فنسب إليه أنه أستولى على عشرة آلاف جنيه إلى أن أمر الرئيس السادات بالإفراج عنه ، اقتناعا ببراءته .

واختفت مراكز قوى .. لتظهر بدلها وعلى الفور مراكز قوى جديدة . وبرز فى المرحلة الجديدة حتى وفاة عبد الناصر على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف ومحمد حسنين هيكل الذى كان يردد أنه بعيد تماما عن صراع عبد الناصر وعامر .. لأنه صراع ((الديناصورات)) ! واستمرت الصراعات الداخلية وعنفت .. وجمال عبد الناصر منصرف إلى عملية إعادة بناء القوات المسلحة . ولكن السؤال .. هل كان جمال عبد الناصر يعد نفسه لاتخاذ قرار الحرب ؟ .. هل كان مقتنعا بجدوى الحرب ؟ .. وهل كان يرى أن الحرب هى السبيل الأوحد إلى تحرير الأرض ؟ هل كان مقتنعا بأن الظروف المحيطة به تسمح له بأن يقرر الحرب ؟

www.anwarsadat.org